اكتشاف الكوناتوس

و الإقرار بوحدة الوجود عند اسبينوزا

زهير الخويلدي

«الانسان الحر لا يفكر في الموت إلا نادراً، أما حكمته فهي تأمل لا للموت بل للحياة».[1]

استهلال

ترك الفيلسوف سبينوزا (1632-1677) جدلاً كبيراً في الساحة الفلسفية حوله، بالرغم من قصر عمره والظروف الصعبة التي عاش فيها، نتيجة الاقصاء والمضايقة. فهو شخصية يهودية عاشت داخل فضاء مسيحي غير متسامح. كما أن المؤلفات القليلة التي ألّفها مازالت محل أخذ ورد وظلت محل تأويل وانتقاد متواصل، وذلك للمسائل الجوهرية التي تجرأت عليها والكشوفات الكبيرة وقبل أوانها التي تضمنتها. زد على ذلك صعوبة تصنيفه وفق الاتجاهات الفلسفية لعصره والانخراط الجذري في تجربة التفلسف بشكل مبكر، والاعتزاز بالانتماء إلى تاريخ الفلسفة، واتصاله بالينابيع الأُول للفكر البشري، ووفائه للتقاليد والجذور الروحية والميتافيزيقية الأولى وخاصة الأفلاطونية والأرسطية والرشدية والتوماوية الحديثة والرواقية، وكذلك تأثره الكبير بـ ديكارت إلى درجة أن مؤرخي الفلسفة يعتبرونه مع مالبرانش ولايبنتز من كبار الديكارتيين.

بيت القصيد ليس في هذا الارتباط بتاريخ الأفكار بقدر ما يتعلق بالزلازل التي أحدثها في نظرية العقل وتناوله لإشكالية المعرفة على غير عادة زمانه، وتصوره للكون الموحد ورؤيته الوجودية الثاقبة، وكذلك الرهانات العملية التي تخصّ الحرية والدولة والمسألة الأخلاقية ومفهوم السعادة.

لقد اشتهر سبينوزا على الصعيد العملي بالبحث في العلاقات القائمة والممكنة بين اللاهوت والسياسة وبين الدين والدولة وخاصة تنظيره للمجتمع المدني والدولة الديمقراطية وحرية المعتقد والعقد الاجتماعي والربط بين المواطنة والسيادة، وذاع صيته أيضاً حينما أكد في كتاب (الأخلاق) على مفهوم الحتمية أو الضرورة الكونية، ونحت مفهوم غريب للحرية وهو **وعي الضرورة**. واعتبره البعض الآخر محرر الجسد ومكتشف اللاوعي قبل فرويد حينما كشف عن وجود نوابض لاواعية في الذات الإنسان، واعترف بمستطاع الجسد، وعرّف الروح على أنها فكرة الجسد.

ولكن كل هذا الطرح لا يعني شيئاً أمام أهمية درجات المعرفة الثلاث التي بلّورها، وقوله بوحدة الوجود واكتشافه **الكوناتوس**[2] بماهو رغبة لدى الإنسان في المحافظة على بقائه وجودياً ومادياً. فلماذا خلع سبينوزا الكوجيتوا عن عرشه؟ وهل وجد نفسه مجبراً على نقد مفهوم الذات وإحلال مفهوم الفرد مكانها؟ وماهي درجات المعرفة الثلاث التي بلّورها؟ وبأي معنى يعتبر واحداً من القائلين بمذهب وحدة الوجود؟ وماهو تصوره لله؟ هل ينتمي إلى التراث الديني أم لإلّه الفلاسفة؟ وماهي تبعات هذه الثورة الكبيرة في المنهج والمعرفة والأنطولوجيا على المعايير والقيم العملية؟

ما نراهن عليه ليس تفسير عبقرية سبينوزا من خلال تأثره بالفلسفة العربية الإسلامية التي ازدهرت في بلاد الأندلس وحملها موسى ابن ميمون في (دلائل الحائرين) وألبرت مغنوس المشهور بـ ألبرت الكبير، وإنما بالعودة إلى مؤلفاته وسيرته الذاتية والاستفادة من جهوده النقدية للدين للرد راهناً على موجة التعصب واللاّتسامح التي تجتاح حضارة اقرأ واعتماد رؤيته الفلسفية في الإنسان والكون.

أسباب استشكال متن الحديث الشريف وأوجهه
دراسة استقرائية

د. فتح الدين محمد أبو الفتح بيانوني
كرسي الأمير سلطان بن عبدالعزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة
كلية التربية ـ جامعة الملك سعود

أسباب استشكال متن الحديث الشريف وأوجهه
دراسة استقرائية

د. فتح الدين محمد أبو الفتح بيانوني
كرسي الأمير سلطان بن عبدالعزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة
كلية التربية
جامعة الملك سعود

ملخص البحث:

يشتمل البحث على ثلاثة محاور: يعرف المحور الأول منها بمصطلح "مشكل الحديث" في اللغة والاصطلاح. ويلقي المحور الثاني الضوء على أسباب ظاهرة استشكال نصوص الحديث الشريف، والتي تندرج تحت الأقسام الثلاثة التالية: أولا: أسباب الاستشكال المتعلقة بنص الحديث، ثانيا: أسباب الاستشكال المتعلقة بالقارئ والسامع، ثالثا: أسباب الاستشكال المتعلقة بالواقع الثقافي والاجتماعي.ويفصِّل المحور الثالث في معرفة الأوجه التي تُستشكل من خلالها الأحاديث الشريفة. فيعرض لما أشارت إليه الدراسات السابقة من أوجه بين موسِّع ومضيِّق، ثم يلخص أوجه استشكال النصوص في تسعة أوجه، وهي: مخالفة القرآن الكريم، ومخالفة الأحاديث الثابتة، ومخالفة الإجماع، ومخالفة القياس، ومخالفة الأصول العامة والقواعد الشرعية، ومخالفة العقل، ومخالفة الحس والواقع، ومخالفة التاريخ الثابت، ومخالفة الحقائق العلمية الثابتة. وتختم الدراسة ببيان لأهم النتائج التي توصل إليها الباحث في هذا الموضوع.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد سيد الأولين والآخرين، ورضي الله عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين، أما بعد،

فإن موضوع "مشكل الحديث"، ما يزال بحاجة إلى مزيد من الدراسات التي تعمل على تحرير تعريفه، وبيان نشأة ظاهرة استشكال الروايات، والموقف منها، والتعريف بالأسباب المؤدية إليها، والأوجه المتعددة لها. وقد وفقني الله تعالى لإعداد دراسة خاصة حول هذا الوضوع بعنوان: "مشكل الحديث، إشكالية المصطلح وتاريخ النشأة"، عرضت فيها للتعاريف المتعددة للمشكل عند متقدمي المحدثين ومتأخريهم، واقترحت تعريفا مناسبا له، وناقشت الشبهة المثارة حول هذا المصطلح، كما عرضت لتاريخ نشأته، وبينت أنها تعود إلى زمن النبي ﷺ، حيث كانت بعض أقوله ﷺ تشكل على بعض الصحابة رضوان الله عليهم، فكانوا يسألونه عنها، وكان ﷺ يجيبهم ويبين لهم دون أي اعتراض أو إنكار[1]. كما أعددت ورقة أخرى تحدثت فيها عن أهمية هذا الموضوع في عصر العولمة، وبينت قواعد الاشتغال به والتعامل معه، كما أشرت إلى تأثره سلبا وإيجابا بالواقع الثقافي للأمة، وضرورة الكتابة فيه في كل عصر بما يناسبه، فلكل عصر احتياجاته ومتطلباته، وما يكون مشكلا في زمن قد لا يكون مشكلا في زمن آخر، والعكس صحيح[2].

وتأتي هذه الدراسة لتستكمل جانبا آخر من جوانب هذا الموضوع، فهي تتناول قضيتين رئيستين، القضية الأولى: الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى ظاهرة الاستشكال أو تساعد على وجودها، والقضية الثانية: أوجه استشكال متن الحديث الشريف.

وقد اشتملت الدراسة على ثلاثة محاور:

يعرف المحور الأول منها بمصطلح "مشكل الحديث" في اللغة والاصطلاح، ويؤكد اختصاص مشكل الحديث بالأحاديث المتعارضة في الظاهر مع غيرها من الأدلة والقواعد والحقائق، بحيث يمكن الجمع بين تلك الأحاديث وما عارضته بوجه من أوجه الجمع.

---

(1) انظر مقال "مشكل الحديث، إشكالية المصطلح وتاريخ النشأة". د. فتح الدين بيانوني.

(2) انظر مقال "مشكل الحديث وأهميته في عصر العولمة". د. فتح الدين بيانوني.